بهذه الحال جاءه التكليف الإلهي بالتوجه إلى فرعون، لم يُراعِ القَدَرُ تلك البلايا سالفة الذكر، بل ربما جاء الأمر الإلهي في وقتٍ قد لا يرغبه موسى عليه السلام حتى قال: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: 14]، قال: كلا !!!، نعم كلا، من كمال العبودية ألا تُحدِّد أوقات التكاليف ومتى يبدأ البلاء ومتى ينتهي.

لقد فُرض على الصحابة الصيام والقتال وصلاة الجماعة في المدينة ولمَّا يلتم شمل كثيرٍ من الصحابة بعد، ولمَّا يُكملوا بناء بيوتهم،، ولما يتزوج بعضهم، لكنهم استجابوا فكان المدد وكان العون، والخلاصة في المسألة أنَّ الله إذا كلَّف أعان، فاتقوا الله واعبدوه كما يحب لا كما ترغبون!.

وختاماً: بقراءة الأسباب السابقة وفهم الأمثلة المطروحة يتضح العلاج، وما يجبُ علينا أن نفعله، وتأمَّل سلوك من صنعهم الإسلام وأخرجهم من ظلمات الضياع إلى نور الهداية والوحي تستقم وتثبت، فما بين هروب يزدجر كسرى فارس بألف طاهٍ ومُغنٍ وقيِّمٍ للصقور والنمور، وهروب هرقل الروم بأساوره وذهبه وحاشيته، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج في هيبةٍ مع غلامه من المدينة لبيت المقدس فاتحاً، يتناوبان الركوب على دابةٍ واحدة، ويخوض بقدميه في الطين بثوبه المُرقَّع، ما بين هذا وذاك كانت قصةُ دينٍ عظيم، لقد فتح الإسلام قلوب العباد بأنواره قبل أن يفتح أسوار البلاد، ويكتمل مشهد النور هذا بمشهد السجود بين يدي الله ﷻ في الآخرة، يوم أن تجثو البشرية من هول الموقف، فيتقدمهم رجلٌ ساجدٌ تعلوه الهيبةُ وأُمَّتُه سجودٌ خلفه، ونداءٌ جليلٌ مقدسٌ يخاطبه: يا محمد ارفع رأسك وسَل تُعطه، فيُجيب بعينيه الدامعتين: يا ربِّ أُمَّتي أُمَّتي قد جئتُ بهم اليك[1].

(1) مستفادٌ من كلام الشيخ فايز الكندري في الحلقة الأولى من برنامجه الرائع (إليك)، وأنصح بمتابعته ففيه نفعٌ وبركة.